

" الآثار الاجتماعية لتكنولوجيات الاتصال الحديثة في الجزائر "

حالة الإنترنت و الهاتف النقال

أ. طافر زوهير *
أ. بوسهمين أحمد **

ملخص:

لا يختلف اثنان على أن تقنيات الاتصال الحديثة أهم ابتكار في القرن العشرين، و الجميع يشهد بأنها سهلت حياة الإنسان و فتحت له آفاق جديدة، فلا تكاد تخلو صحيفة من إعلان عن متعامل الهاتف النقال ذاك أو ذاك، و لا يكاد يمر يوم من دون أن نسمع في نشرات الأخبار عن ذاك الموقع على الإنترنت أو ذاك... فمن دون أن نشعر، أصبحت تقنيات الاتصال الحديثة جزءاً لا يتجزأ من حياة إنسان اليوم و الاستغناء عنها أمر مستحيل. كل هذا يعني أن انعكاساتها متعددة الأبعاد و لا تنحصر على جانب معين، وهناك المئات، إن لم نقل الآلاف من البحوث و الدراسات و المقالات التي تجمد عصر المعلومات و أدواته، لكن الواعون بالأخطار الناجمة عنها قليلون.

و هذه الأخطار مثل الإيجابيات، متعددة الجوانب، فمنها الاقتصادية و منها السياسية و منها الاجتماعية، و هي التي تهمننا بالذات.

و سنحاول من خلال هذا المقال تسليط الضوء عن الانعكاسات الاجتماعية لتكنولوجيتين أو تقنيتين من تقنيات الاتصال، ألا و هي الإنترنت و الهاتف النقال، في المجتمع الجزائري، و عارضين في نفس الوقت المراحل المهمة التي مرت بها و كذا الأسباب الرئيسية التي ساعدت على انتشارها في بلدنا.

الكلمات المفتاحية: الإنترنت، الهاتف النقال، تقنيات الاتصال الحديثة، مجتمع المعرفة، القرية العالمية.

*- أستاذ مساعد كلية العلوم الاقتصادية و العلوم التجارية و علوم التسيير

— المركز الجامعي بشار-الجزائر

** - أستاذ مساعد كلية العلوم الاقتصادية و العلوم التجارية و علوم التسيير

— المركز الجامعي بشار-الجزائر

Résumé

Tout le monde s'accorde pour dire que les NTIC sont l'invention la plus remarquable du vingtième siècle, et qu'elles ont apportées des facilités sans pareils à l'homme moderne et lui ont ouvert par la même occasion de nouveaux horizons. Pas un Seul journal, pas un seul média ne fait au moins une fois par jour la publicité de tel opérateur de téléphonie mobile ou l'apologie de tel site Internet, et sans quand le pressent, ces technologies sont devenues avec le temps, parties intégrantes de notre vie et de notre mode de pensée, au point que l'évocation même de s'en séparer relève de l'impensable. D'un autre coté, cela signifie que l'impact des NTIC est multidimensionnelles et ne se limite pas à tel ou tel branche...Mais tout ce qui brille n'est pas or, car si des milliers d'articles et de thèses font l'apologie des NTIC, peu d'entres elles sont consacrés aux zones « sombres ». Aussi, nous allons essayer à travers cet article de démontrer l'impact négatif de deux de ces technologies (à savoir la téléphonie mobile et l'Internet) sur la société Algérienne, et s'évertuera à relater les grandes étapes du développement de ces technologies et d'en donner quelques unes des raisons de l'engouement qu'elles suscitèrent dans notre société.

Mots Clés : *Internet, Téléphone mobile, NTIC, Société de l'information, Village mondiale.*

إن الحصول على المعلومات هو أساس تحصيل المعرفة، أي مجموعة من المعاني والمعتقدات والأحكام والتصورات الفكرية، التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولات متكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به. و من خلال عملية التفكير يستطيع الشخص التعرف على الأحداث المحيطة به و يحتفظ بها في عقله ، و يزيد الإنسان في العادة من معرفته بصفة مستمرة عن طريق الثقافة و التعليم و لذلك يختلف رصيد المعرفة من شخص لآخر نظرا لاختلاف البيئة التي يعيش فيها و اختلاف التجارب و الدراسة و الخبرة التي يحصل عليها كلاهما. هذا من جهة و من جهة أخرى، فالإنسان ذاك الكائن الاجتماعي، في حاجة دائمة إلى التعبير و الاتصال مع من حوله، و هذا التعطش للمعرفة و ربط العلاقات مع الغير دفعه به إلى ابتكار و تطوير طرق اتصال تتحدى المسافات و تقرب البعيد.

و بهذا شهد العالم في العشريات الأخيرة تطورات و تغيرات لم يشهدها خلال قرون مجتمعة، مست أسلوب الحياة بالعمق و الشمول وتسببت في خلق ثورة من نوع جديد، ثورة من دون سلاح، اخترقت الحدود و تحدثت الحكومات الأكثر انطواء، ثورة تدعى بالرقمية و سلاحها الصفر و الواحد. و حل محل الطرق التقليدية للاتصال، تقنيات أكثر حداثة كالهاتف النقال و الإنترنت و الألياف البصرية و التلفزة الرقمية و غيرها من وسائل الاتصال الحديثة.

ولقد ساهمت تكنولوجيات الاتصال الحديثة في تسهيل الحصول على المعلومات التي أدت بدورها إلى التفاعل بين أفراد المجتمع بمختلف شرائحهم، و هذه العملية أدت بطريقة أو بأخرى اقتناء أكبر كم ممكن من المعرفة ، أدت هذه الأخيرة إلى تضاعف الإنتاج الفكري في مختلف المجالات بالإضافة إلى دور الفرد و هو الحاجة إلى تحقيق أقصى سيطرة على المعلومات المتدفقة إذن علاقة المعرفة بتكنولوجيات الاتصال الحديثة هي علاقة طردية بحيث كلما توفرت وسائل الاتصال الحديثة أكثر كلما كان اكتساب المعرفة أكبر .

وفي إطار هذا التحول والتقدم التكنولوجي ، وجدت الجزائر نفسها أمام تحديات كبيرة وهي في مرحلة حساسة من تطورها التاريخي ،

مرحلة تميزت بإصلاحات وتغييرات على المستوى السياسي و الاجتماعي و الانتقال إلى اقتصاد السوق وسعي الجزائر إلى الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية (WTO) بعد سنوات و سنوات من التسيير المركزي والأحادية السياسية والاقتصادية والاستثمارية. لكن مدى نجاح هذه الإصلاحات مرهون بعدة عوامل، من بينها متانة البنية التحتية عامة و المتعلقة بالإتصالات خاصة¹، فتحركت السلطات و شجعت الاستثمارات في هذا القطاع (و في غيره) و انتشرت تقنيات الاتصال الحديثة في الجزائر بشكل مذهل و خاصة الإنترنت و النقل. لكن هذا ترافق مع ظهور أمور لم تكن من قبل في مجتمعنا العربي الإسلامي، و ترك آثار عديدة، منها الاقتصادية و منها الاجتماعية، ولتحديد هذه الآثار (خاصة الاجتماعية منها) ارتأينا القيام بهذه الدراسة. وقبل ذلك، سنقدم تعاريف تقنية متعلقة بالموضوع و من ثم سنبرز أهم المراحل التي مر بها الإنترنت و الهاتف النقال في الجزائر.

I. تكنولوجيا الاتصال و تكنولوجيا المعلومات:

يرى العديد أن تكنولوجيا المعلومات و تكنولوجيا الاتصال وجهان لعملة واحدة فلا يمكن الفصل بينهما، لكن الأمر ليس كذلك:

- فتكنولوجيا المعلومات "اقتناء و اختزان المعلومات و تجهيزها في مختلف صورها سواء كانت مطبوعة، مسموعة، مصورة، صوتية، ممغنطة أو معالجة بالليزر، و بثها باستخدام توليفة من المعلومات الإلكترونية و وسائل أجهزة الاتصال عن بعد"².
- أما تكنولوجيا الاتصال فهي مجموع التقنيات أو الأدوات أو الوسائل أو النظم المختلف التي يتم توظيفها لمعالجة المضمون أو المحتوى الذي يراد توصيله من خلال عملية الاتصال الجماهيري أو الشخصي أو التنظيمي أو الجمعي التي يتم من خلالها جمع المعلومات و البيانات المسموعة أو المصورة أو المرسومة أو المسموعة المرئية أو المطبوعة الرقمية ثم تخزين هذه المعلومات قبل استرجاعها في الوقت المناسب و القيام بعملية نشرها³. و تتعدد وسائل تكنولوجيا الاتصال الحديثة فمنها الإنترنت، الهاتف النقال، الألياف البصرية، التلفزة الرقمية،

الحاسوب الشخصي (خاصة المحمول منه) ... الخ. لكن إهتمامنا ينصب على تقنيتين فقط: الإنترنت و الهاتف النقال.

1.1. الإنترنت، شبكة الشبكات:

أ. ما هو الإنترنت:

نظراً لأهمية شبكة الإنترنت و فوائدها الكثيرة فقد تداخلت تعريفاتها و وجهات النظر حولها و ذلك حسب فهم الخبراء و المتخصصين لماهيتها و أهميتها و من بين أهم تلك التعريفات مايلي:

- هي شبكة المعلومات تتكون من عدد هائل من الحواسيب مختلفة الأنواع و الأحجام و المنتشرة عبر العالم حيث يتم الربط بينها "بيروتوكول" التحكم بالإرسال⁴ مما ينتج عنه قاعدة بيانات ضخمة لخدمة المستخدم⁵.
- هي شبكة الشبكات و هي أضخم تطبيق لتكنولوجيا المعلومات في جميع المعلومات على مستوى العالم ، و فرضت نفسها كمصدر للمعلومات في جميع مجالات الحياة ، و هي مجدية اقتصاديا في الكثير من الإستخدامات.
- الإنترنت شبكة تكنولوجية ضخمة تربط الملايين من أجهزة الحاسوب حول العالم عن طريق بروتوكولات ، وتعمل بواسطتها على تبادل المعلومات و المعارف في مختلف مناحي الحياة بكل سهولة و يسر ، و يستخدمها مئات الملايين من الأشخاص من أجل تحقيق أهداف شتى :ثقافية اقتصادية ، اجتماعية سياسية ، دينية، عسكرية.

ب. تطور الإنترنت في الجزائر:

مرت الجزائر بمرحلة صعبة للغاية عرفت بالعشرية الدموية و فقد خلالها الحياة مئات الآلاف من المواطنين. و خلال هذه الفترة عرفت البلاد ركوداً رهيباً في شتى الميادين. لكن و مع الوقت أدرك الجميع أنه لا منأى من الانطواء و النحيب و أن الوقت قد حان للحاق بقطار الحضارة.

و شهدت الجزائر منذ سنة 1998، نشاطاً هاماً في ميدان تكنولوجيات الاتصال والمعلوماتية بوتيرة متسارعة، و خاصة بعد إصدار التنظيمات القانونية المؤطرة لذلك، والتي خصت بفتح المجال للاستثمار في ميدان الإنترنت و الذي بقي محتكراً من قبل المتعامل العمومي CERIST منذ 1993. إذن ومنذ 1998، شهدت الجزائر دخول وتزايد كبير في عدد المتعاملين الخواص المزودين لخدمات الإنترنت وتبع ذلك توسيع استخدامهما في المؤسسات والجامعات والمنازل.

وفي هذا الصدد، عملت الجزائر إلى إدراك التأخر في مجال تكنولوجيات الاتصال و خاصة في مجال الإنترنت، وهذا بالعمل على تطوير هذا القطاع، ويظهر ذلك في وثيقة العمل المقترحة من وزارة البريد والمواصلات خلال الاجتماع التحضيري العربي الثاني للقمة العالمية لمجتمع المعلومات⁶.

والدليل على ذلك الانفتاح، ارتفاع عدد نوادي الإنترنت خلال الثلاث سنوات الأخيرة من 100 إلى 5000، أما عن عدد المشتركين في الإنترنت، فقد ارتفع من 100 ألف مشترك سنة 2000 إلى 500 ألف مشترك سنة 2002، ثم بلغ 800 ألف مشترك سنة 2004.

و من بين الجهود المبذولة في هذا المجال أيضاً، تطوير خدمة توصيل الإنترنت من حيث السرعة، فقد تم استخدام وتوسيع شبكة الإنترنت ذات السرعة الفائقة ADSL⁷ لأول مرة، وهذا منذ أكثر من سنتين من خلال شراكة بين المتعامل العمومي مؤسسة إتصالات الجزائر والمتعامل الخاص EEPAD، وتم مؤخراً عقد اتفاقية بين المتعامل العمومي وثلاثة شركات أجنبية منها مؤسس ات HUWAWET و ZET الصينية وشركة DAEWOO الكورية لنفس الغرض أي تطوير و توسيع شبكة ال ADSL⁸.

وفي هذا الإطار ترمي خطة الحكومة في المدى المتوسط، إلى وصل 40 % من المنازل بالإنترنت، كما تطمح إلى تحقيق نسبة قدرها 20% فيما يخص انتشار الحواسيب الشخصية، وتوسيع شبكة الألياف البصرية (حيث تبلغ حالياً 23.000 كلم)، زيادة على الشبكات الخاصة التابعة لكبريات المؤسسات العمومية (والمقدرة طولها بـ 16.000 كلم)

وستغطي هذه الشبكة كامل التراب الوطني بما في ذلك أقصى المناطق الصحراوية ليصل طولها 35.000 كلم في غضون 2008 .

II. 2. الهاتف النقال أو الرّسن الإلكتروني :

أ. تعريف مُبسط:

هو بكل بساطة و من دون الدخول في التفاصيل، عبارة عن جهاز أو ألياف موصولة مع مركز هاتفي و يستخدم في شتى الأماكن: في السيارة، الحافلة، الطريق⁹.

و تقوم فكرة عمل الهاتف النقال على اتصال هوائي بين التليفون و أقرب محطة استقبال و إرسال له، و التي توجد على أسطح المباني أو الأبراج، و كل مجموعة من المحطات يتصل بعضها ببعض الآخر بشبكة أرضية. و تستخدم الشبكة ترددات كهرومغناطيسية ذات تردد 900 ميغاهرتز، و هذا التردد قريب من ترددات الإذاعة AM/FM . و يسمى كذلك بالهاتف الخلوي لشكل الحقل المغناطيسي الذي يتولد حول الهوائي و كذلك للإستراتيجية المتبعة في وضع الهوائيات بطريقة مثلى تغطي أكبر مساحة ممكنة من دون أن تكون هناك نقاط "عمياء" بين المساحات التي يغطيها كل هوائي و هذا الوضع الأمثل يشبه إلى حد بعيد "خلايا النحل" السداسية الشكل . و هناك من يُكني الهاتف النقال ب "الرّسن الإلكتروني"، فهو بمثابة الطوق أو السلسلة التي تشد صاحبها و تحد من حركاته و حريته.

ب. تطور تكنولوجيا الهاتف النقال في الجزائر :

في عام 1998، كان عدد المشتركين في الهاتف النقال 18.000 مشترك وكانت تحويهم شركة البريد والمواصلات آنذاك. ووعيا من وزارة البريد والمواصلات الجزائرية بالتطور الحاصل والمذهل لتكنولوجيات الاتصال والمعلومات الحديثة، قامت بإصلاحات جديدة في إطار فتح سوق الاتصالات للمنافسة و تجسد ذلك في سن قانون جديد للقطاع في أوت 2000، بحيث تم بيع رخصة إقامة واستغلال شبكة للهاتف المحمول في جوان 2001، وتبعها بيع رخصة أخرى في هذا المجال تمثلت في فتح السوق للإستثمارات الدولية. وفي عام 2003 تم الربط المحلي بالمناطق الحضرية وتواصل ذلك إلى سنة

2004، ومن هنا أصبح سوق الاتصالات مفتوح تماما في 2005. و تضم الجزائر ثلاثة متعاملين أساسيين في هذا القطاع و هم على الترتيب (حسب عدد المشتركين):

- شركة "أوراسكوم - جيزي" (Djezzy) المصرية.
- شركة "موبيليس" (Mobilis) الجزائرية.
- شركة "الوطنية تيليكوم - نجمة" (Nedjma) الكويتية.
- و يعطي الجدول التالي بعض الأرقام عن عدد المشتركين لدى المتعاملين الثلاثة في سوق النقال بالجزائر:

جدول رقم 01 " عدد المشتركين الهاتف النقال في الجزائر"

	2006	2005	2004	2003	2002	2001	2000	
Mobilis	5.500.000	3.000.000	1.000.000	600.000	500.000	500.000	200.000	
Djezzy	8.000.000	6.000.000	2.000.000	1.000.000	500.000	/	/	
Nedjma	2.000.000	800.000	/	/	/	/	/	

المصدر: مواقع " Nedjma, Djezzy, Mobilis "

على الأنترنت. أبريل 2006

تجدر الإشارة أن شركة Mobilis هي الشركة الأقدم في مجال الاتصالات (الهاتف النقال) وهذا بحكم انتمائها إلى المتعامل التاريخي "اتصالات الجزائر". و كانت سنة 2002 المنعطف التاريخي في سوق النقال في الجزائر، وذلك بدخول منافس جديد: "جيزي" حيث أعطى ذلك الزخم الذي كان ينقص سوق الهاتف النقال في الجزائر، وذلك بإدخال تكنولوجيا GSM لأول مرة، و لم تمر سوى شهور قليلة من سنة 2003 على إنطلاق تسويق شركة جيزي لمنتجاتها، حتى استقطبت واحد مليون مشترك.

و في سنة 2005 دخل متعامل جديد إلى السوق الجزائرية وهو شركة الوطنية الكويتية بعلامتها التجارية "نجمة"، وبدخولها أصبحت المنافسة بين الشركات الثلاثة أشرس و تركزت أساساً على تخفيض الأسعار. و

القفزة النوعية التي أحدثتها جيزي في سوق الاتصالات (حيث تمكنت في وقت قصير من بلوغ 8 ملايين مشترك) يعود لعدة أسباب منها: الجودة العالية، الأسعار المطبقة و التغطية الشبه كاملة للتراب الوطني. و من خلال هذا يتضح جليا أن سوق الاتصالات عرف و يعرف رواجاً وإقبالا كبيرين في الجزائر. لكن ما هو السبب في ذلك؟

II. بعض أسباب و نتائج الإنتشار الهائل لتكنولوجيات الاتصال في الجزائر:

1.II. الأسباب:

- تعاني و سائل الاتصال التقليدية في الجزائر من سلبيات كثيرة، فالخطوط الهاتفية الأرضية قديمة نسبياً و تشكو من التعطلات المستمرة، كما أن عملية الحصول على خط ثابت أمر صعب للغاية و يتطلب وقتاً طويلاً. بالمقارنة، لا يأخذ الحصول على خط نقال إلا دقائق و الإجراءات سهلة و غير معقدة، بحيث يمكن لأي كان أن يحصل على خط من أي محل مختص و بأسعار معقولة و في متناول غالبية الناس.
- سنوات من الحرمان و التعتيم الإعلامي من جهة، و المزاج المتوسطي (نسبة لمنطقة الحوض الأبيض المتوسط) الذي يعرف به الجزائريون و الذي يتميز بحب التطلع، أحد أسباب انتشار المادة الرقمية.
- المجتمع الجزائري شديد التأثر بالمجتمعات الأوروبية و خاصة بالثقافة الفرنسية، فذلك راجع في الأساس إلى ما يعرف "بمخلفات الاستعمار" أو كما يحلو للبعض تسميته ب "ميراث الحرب" من لغة و تقاليد و عادات استهلاكية تركتها فرنسا من وراءها و تبناها العديد من الجزائريين. و زاد الأمر حدة مع الغزو الإذاعي، حيث أن أكثر من 50% من المنازل الجزائرية تلتقط البرامج و القنوات الفرنسية عبر الساتل، و 11 مليون جزائري يجيدون الفرنسية¹⁰ و 21 مليون منهم يفهمونها، أضف إلى ذلك أنه كل 3 دقائق يعرض إشهار حول ذلك المزود بخدمات الإنترنت أو ذاك المتعامل الهاتفي.

- هناك سبب آخر يكمن في أن غالبية الخدمات المتوفرة على النقال و الإنترنت موجهة للشباب و المراهقين، ويأخذ هذا العامل كل الأهمية إذا ما علمنا أن التشكيلة الديموغرافية للمجتمع الجزائري تظهر أن 75% منه مشكل من شباب لا يتجاوز عمرهم 30 سنة.
 - كان في الماضي ينعت بالجاهل من لا يعلم القراءة و الكتابة، لكن و منذ سنوات، تغير هذا المفهوم و أصبح يدل على من لا يعرف تشغيل حاسوب أو الإبحار في عالم الإنترنت، أضف إلى ذلك أن الشبكة العالمية تحوي ملايين المواقع و التي تمس كل الميادين، فهي بالتالي موسوعة يسرّند عليها الباحث، الطالب و التلميذ في واجباته و نادرًا ما تخيب ظنه من حيث نوعية و كمية المعلومات.
- و يستحسن قبل أن نبدأ بسرد الآثار السلبية على المجتمع لهاتين التقنيتين، أن نعرض باختصار فكرة عالم الاجتماع الكندي "مارشال ماكلوهان" حول ما يسميه بالقرية العالمية:
- في كتابه المنشور عام 1968 بعنوان "الوسيلة في الرسالة The medium is the message"، أشار عالم الاتصال الشهير «مارشال مكلوهان Marshall Macluhan» أن شعوب العالم تتجه نحو الوحدة والدمج فيما أسماه بالقرية العالمية Global village التي حققتها وسائل الاتصال نتيجة تجاوز حدود المكان والزمان¹¹. حيث قال: "أننا نعيش الآن في قرية عالمية، وأن الوسائل الالكترونية الحديثة ربطت كل منا بالآخر، وبالتالي فإن المجتمع البشري لن يعيش في عزلة بعد الآن، وهذا يجبرنا على التفاعل الجمع والمشاركة، فقد تغلبت الوسائل الالكترونية على قيود الوقت والمسافة، وأدت إلى استمرار اهتمامنا بالدول الأخرى..."¹². كان هذا في 1968، أين لم يكن هناك لا نقال الانترنت.
- إذن أتاحت التكنولوجيا الحديثة تعدد القنوات وتعدد الخدمات و قللت من تكلفة الاتصال الجماهيري وتعقيده، وأدت إلى ما يعرف "بتفجير تكاثر النشر Exploding Proliferation of Publication" سواء المقروء أو المسموع أو المرئي، وبأسعار تلائم كل من المرسل والمستقبل¹³.

وبدلاً من أن يحدث الاندماج الثقافي والاجتماعي بين شعوب العالم المختلفة إلى القرية العالمية كما ذكر مارشال مكلوهان نجد أن كل فرد يستخدم وسيلته الخاصة ، ويطور اللغة التي تناسبه ، وتزداد الفروق والاختلافات بدلاً من ترسيخ التماسك والدمج في أمة واحدة.¹⁴

2.II. النتائج:

- **زمن سلعة كمالية إلى سلعة ضرورية-تفاخرية:** أصبحت الهواتف النقالة بمثابة سلع تفاخرية *Ostentatious goods*، تثبت الانتماء الطبقي للشخص: فمن أراد أن يظهر للغير مكانته الاجتماعية أو مدى ثروته، ما عليه إلا أن يقتني آخر طراز من الهواتف النقالة.
- **انحرافات عن الغاية من استعمال الهاتف النقال:** تتمتع الهواتف النقالة الحديثة بتكنولوجيات عالية تسمح لها بمجارية العديد من خدمات الكمبيوتر من تصفح الإنترنت، واستعراض الملفات والاستماع إلى الموسيقى وأخذ الصور... الخ، ولكن أصبح الهاتف النقال في المجتمع الجزائري ، سلاح ذو حدين ، لتواجهه بين أيدي العديد من الأطفال و المراهقين واستغل هؤلاء الفرصة لانتقالات منافية للأخلاق بانعدام رقابة الأولياء والقانون. بحيث يرى كثير من الباحثين في عام النفس والاجتماع أن خطورة استعمال الصورة الإباحية والكلام الفاحش على مجتمعنا كثيرة جداً. حيث يقوم كثير من الشباب بسب أو شتم مواطن معين عبر الهاتف بعد الحصول على رقم هاتفه سواءً بطريق الخطأ أو بأي طرق أخرى، كما استغل الهاتف النقال في أمور النصب والاحتيال بحيث يعتمد بعد الشبان إلى استغلال الأرقام الهاتفية التي تنشر في إعلان الوفيات مثلاً لعملية نصب سريعة على أصحابها وهذا بابهام ذويه بأن هناك أموراً تخص المتوفى يريدون أن يخبروهم بها شريطة تعبئة هواتفهم ببطاقات شحن مسبقة الدفع. وبهذا فإن اللوم لا يقع على التكنولوجيا ولكن المسؤولية يتقاسمها الجميع من آباء ومربين و علماء دين وغيرهم من

الجمعيات والنوادي للتصدي الأقوى لسلبات التكنولوجيا لا الامتناع و التخلي عنها تماما، فالخطر ليس في التكنولوجيا بحد ذاتها بل في ما نستعملها.

- **المجتمعات السيكولوجية عبر شبكة الإنترنت:** أصبح من السهل خلق "مجتمعات سيكولوجية Psychological

communities" تقوم بتوسيع نطاق علاقاتنا عبر الوقت المسافة، حتى يتم في النهاية خلق مجتمعات افتراضية تتكون من أناس نعرفهم من خلال شبكة الاتصال، ولعل هذا الاتجاه هو ما سوف يقودنا إلى مجتمع ما بعد الحداثة " Post-Modern society"، ليس مواطنه الإنسان العادي Homo Sapiens sapiens، بل الإنسان الرقمي Homo Cyberneticus، عالمه خيالي و حدوده هلامية و جنسيته عالمية و أصبح العالم بمدنه و قرأه، قرية أو القرية العالمية Global Village (و الذي سنتطرق إليها لاحقا)، و مع الوقت يخشى العديد من اندثار الروابط التي تنشأ بين المنتمين لنفس الطبقة أو الطائفة أو القبيلة إن صح التعبير.

- **الديمقراطية الرقمية و الديمقراطية السياسية:** لم يصبح المواطن الجزائري ذاك المستقبل الجامد Passive receptor الذي يكتفي بالتقاط و هضم ما يدور حوله، بل أصبح بإمكانه أن يدلي بأرائه و يعطي نظراته حول ذاك الحدث أو ذاك عن طريق قنوات الحوار Chat rooms و المنتديات Forums، من دون رقابة أو مقص. كما أصبح بإمكانه التعرف على ما يحدث في العالم بالحصول على الخبر من المصدر مباشرة، متجنباً بذلك كل تعميم أو تمويه.

- **بناء العلاقات الاجتماعية:** في مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات قد تكثف علاقات الناس في مجتمعاتهم المحلية، من خلال فتح قنوات الاتصال والدفع بأساليب جديدة لتنسيق الأنشطة المختلفة وتدعيم العلاقات. هذا ما يؤدي إلى ما يسمى بالحضور الاجتماعي Social presence، الذي يختلف عن

الحضور النسبي Relative presence، و الذي يعني غياب التلميحات المحسوسة التي تساعد على نقل المعاني¹⁵. لكن هذا يحمل في طياته نوعاً من الخطر و يُنذر بما هو أخطر: فهذا قد يعني بكل بساطة أن الشباب الجزائري و إن كان فضولي و يحب استكشاف كل ما هو أجنبي Exotic، إلا أنه يعاني من فراغ عاطفي (راجع إلى عوامل اجتماعية كعدم توفر الإمكانات المادية للزواج) يدفعه إلى ربط علاقات غرامية خيالية، و ما ينجر عن ذلك من ابتعاد عن المقومات الأساسية لكل مجتمع سليم و حدوث مشاكل نفسية قد تفضي إلى نوع من انفصام الشخصية Schizophrenia.

- ظاهرة نوادي الإنترنت Cybercafé: مع الانتشار الواسع للإنترنت ظهرت مكملات و متممات جانبية مرتبطة بهذا الانتشار و إحداها ما يعرف عند العموم بمقاهي الإنترنت Cybercafé¹⁶، لكن تسمية نوادي الإنترنت أنسب و أصح، ولعل هذا الخطأ الشائع في التسمية لدليل على أن نوادي الإنترنت أصبحت منافساً للمقاهي التقليدية كمكان للتجمع و تبادل الآراء، حتى و إن كان ذلك يتم عبر قنوات مُخالفة. و قد إستفالت إلى هذه النوادي طائفة من الناس غالبيتهم من الشباب الذين انجذبوا إلى هذا الفضاء الفسيح وذلك الوافد الجديد بكل قوة حتى أصبح ارتيادها ظاهرة جديدة تستحق البحث والتحليل. وبطبيعة الحال لمقاهي الإنترنت آثار جانبية خطيرة خاصة الاجتماعية منها إذا لم يحسن استغلالها، فبعض الشباب ربما لديهم أجهزة كومبيوتر في بيوتهم، لكن يفتقدون خصوصية البحث عن ما يريدون لاسيما إذا كانت البيوت محافظة. وهم يبحثون عن المحادثات أو المواقع المشبوهة، وأكثر المقاهي كما يقول أحد الباحثين: "تجدها مهياة لذلك من جو شاعري وأضواء خافتة وتجهيز المكان بحيث لا يطلع أحد عن الجالس"¹⁷.

ويعلم كثير من مستخدمي الشبكة أن بوسع غيرهم أن يتعرف عليهم إذا استعملوا أجهزتهم الشخصية ، باللجوء إلى عنوان الـ Internet Protocole¹⁸ وذلك فرارا من الانكشاف المخزي يلجئون إلى هذه المقاهي لإخفاء أفعالهم، والعامل الذي يساعد على هذا الأثر هو إهمال الأولياء و ضعف مراقبة الأسر لأبنائها، كثرة الطابوهات في مجتمعاتنا المحافظة و جشاعة أصحاب هذه النوادي و الذين يعملون على جذب أكبر عدد من الزبائن.

- الإنترنت حوار ثقافات أم صراع حضارات؟ يتوفر الإنترنت على وسائل عديدة للحوار بين الأفراد والمجتمعات، بحيث يمكن أن يكون حوار مثير بين شخصين من ثقافتين مختلفتين ويساعدهم على فهم بعضهم البعض، دون طمس هويتهما وخصوصيتهما، بحيث هناك من يعتبر ثقافة الإنترنت هي مدخل إلى تحقيق أمل البشرية في إرساء ثقافة تمهد لسلام حقيقي ودائم، وهذا مع تنوع الثقافات وتعددتها.
- ولكن هناك من يناقض هذا الرأي بالقول بحتمية الصراع واستحالة الوفاق العالمي والاجتماعي، بل هناك من يؤكد أن الإنترنت ستؤدي إلى جر حاد يفصل بين الثقافات والفئات الاجتماعية، وستعيد فرز المجتمعات الإنسانية وفقا لمعايير عصر المعلومات، وأن العالم سيشهد دورانية ثقافية شرسة تلتهم فيها الثقافات الأقوى الثقافات الضعيفة. وكما كادت التكنولوجيا الصناعية تقضي على التنوع البيولوجي، فإن التكنولوجيا المعلوماتية يمكن أن تقضي بدورها على التنوع الثقافي، لتتقرض الثقافات بلغاتها وقيمها وتقاليدها في ظل تجانس ثقافي يهيمن عليه القطب الوحيد، وهناك من يندر بنشوب حروب بين القوى الاقتصادية العالمية من أجل السيطرة على موارد المعلومات.
- ومن أمثلة صراع الحضارات الحملة الشرسة التي يتعرض لها الإسلام من خلال شبكة الإنترنت، وكما كتب و يكتب عن

الإسلام حيث ينظر إليه الغرب إلى أنه عقبة أمام تنفيذ رؤيتهم للعلامة على الصعيد الثقافي¹⁹.

- **أثر على الأسر:** في منزل مثلا الذي تقطنه أسرة واحدة (أبوان وأطفال)، نجد أن كل فرد أصبحت له وسائله المنفصلة للوصول إلى مصادره الإتصالية الخاصة، بحيث أصبحت وسائل الإعلام مقبولة إجتماعيًا للهروب من أفراد الأسرة. كذلك حولت هذه الوسائل بعض المجتمعات في الدول المتقدمة والدول النامية من الروابط القائمة على أساس الدم والزواج والجيرة إلى شبكات من المجموعات ذات المصالح، فيمكن أن تكون هذه الجماعات مجرد أفراد نتحدث معهم في التلفون، أو نرسل لهم بريدا إلكترونيا²⁰.
- **إدمان من نوع جديد:** ينشأ الإدمان على الإنترنت من الاتصال اليومي المباشر في الشبكة بحيث يقوم بعض المستخدمين إلى إنفاق أموال طائلة في مقابل فواتير التليفونات الشهرية، والدردشة على سبيل المثال تؤدي إلى الإدمان، فبعض الدارسين معظمهم ذكور لا يستطيع يحون المكوث طويلا بعيدين عن الجهاز، فقد يقضون أكثر من 12 ساعة دون طعام أو حتى الذهاب إلى الحمام هذا من جهة²¹، ومن جهة أخرى، فإن الإفراط في استخدام الهاتف النقال لم يعد شكلا من أشكال الواجهة الاجتماعية، بل سار إدمانا بحيث يجد معظم مستعملي الهاتف المحمول إلى استخدامه دون وعي منهم، بسبب الموجات الكهرومغناطيسية التي يولدها الهاتف المحمول، التي تتسرب إلى المخ مما يؤدي إلى إفراز نوع من "الأندرومورفينات"²² التي قد تفقد الشخص وعيه أو تغير من تصرفاته. وقد حذر خبراء دوليين من تفشي أمراض عصبية وعضلية كالصرع Epilepsy و التهاب المفاصل Osteoarthritis، كانت حكرًا على المسنين، و التي أصبحت في أيامنا هذه تمس عدد أكبر فأكثر من الشباب بسبب مكوثهم المبالغ أمام شاشات الكمبيوتر.

● الفجوة الرقمية: يعد تعبير الفجوة الرقمية Numeric fracture

واحد من أهم التعبيرات التي خلفتها استخدام التكنولوجيات الحديثة ومدى تغلغلها داخل المجتمعات، ويمكن تعريف هذا المصطلح على أنه الفرق بين البلدان النامية والبلدان في طريق النمو في إمكانية السيطرة على تكنولوجيات المعلومات والاتصالات التي تساعد على الإسراع بتحويل شعوبها إلى مجتمعات معرفة. وتوجد عدة عوامل ساهمت في اتساع هذه الفجوة كعامل الفقر و الغنى، والفوارق بين المناطق الحضرية والمناطق الريفية والإختلافات بين المستويات التعليمية واختلاف الجنس والعمر... الخ.

أما تعبير مجتمع المعرفة Knowledge Society فهو ينطبق على مجتمع يحسن اعتماد تكنولوجيات المعلومات والاتصالات الحديثة في معاملاته، بحيث يكون قادرا على إنشاء المعلومة والمشاركة في إثراء الرصيد المعرفي العالمي، واستخدام المعلومة على أحسن وجه بهدف الإسراع بكسب رهان الثورة المعلوماتية.

وبالنظر إلى إحصائيات حديثة العهد، وفرها محللون ينتمون إلى منظمات عالمية (و على رأسها منظمة الأمم المتحدة) يلاحظ أن الفجوة الرقمية قائمة بين شعوب متفاوتة الإتساع حسب توافر البنية التحتية، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، و هذه الأرقام تعبر عن هذه الظاهرة:

○ عدد الحواسيب الشخصية لكل 100 ساكن يناهز 62,5 بالوم.أ، 33 بفرنسا، 16,5 بقطر، 13,5 بالإمارات العربية المتحدة و... 0,71 بالجزائر.

○ 20% من سكان العالم يمثلون 80% من مجموع المرتبطين بشبكة الإنترنت ويمتلكون 82% من الحواسيب الشخصية وينتجون 79% من المواقع المتواجدة على شبكة الإنترنت، و عليه فإن 80% من

- سكان العالم لا ينتجون إلا 21% من مجموع هذه المواقع.
- الو.م.أ تملك بمفردها ما يناهز 107 مليون موقع على شبكة الإنترنت، أي ما يمثل 75% من مجموع المواقع على الشبكة، و أن عدد مواقع كامل الدول العربية بما فيها الجزائر لا يتعدى 112 ألف موقع.
 - عدد الخطوط الهاتفية للقارة الإفريقية التي تعد حوالي 906 مليون نسمة (في 2005) يبلغ حوالي 46 مليون خط، في حين أن عدد الخطوط في إسبانيا التي تعد حوالي 40 مليون نسمة
 - يبلغ حوالي 48 مليون خط، و هناك من يقول²³ أن عدد الهواتف في جزيرة مانهاتن لوحدها يفوق عدد الهواتف في كامل القارة الإفريقية.
 - عدد مستخدمي شبكة الإنترنت في كامل الدول العربية التي تعد ما يقارب 290 مليون نسمة (في 2004) يبلغ 14 مليون مستخدم أي نسبة 4,82%، و يبلغ في الجزائر 1,56 %، في حين أن عدد المستخدمين في السويد التي لا يتعدى عدد سكانها 9 ملايين نسمة يبلغ حوالي 5 ملايين مستخدم أي نسبة قدرها 55,55.
 - الفجوة الرقمية قائمة بين الدول العربية في حد ذاتها، إذ نجد في الإمارات العربية المتحدة 31,5 مستخدم لكل 100 ساكن، في حين أن جل الدول العربية الأخرى لا يتعدى هذا العدد مستخدم واحد لكل 100 ساكن.
- يمكن القول أن هذه المؤشرات تكون في بعض الحالات مضللة، إذ لا تأخذ بعين الاعتبار على سبيل المثال الإستعمال المشترك للهاتف في الأسر وللحواسيب في نوادي الإنترنت التي تمكن نسبة كبيرة من السكان من الدخول إلى شبكة الإنترنت، لذلك في أواخر 2005 أصدرت هيئات مختصة بالإتحاد الدولي للإتصالات، طرقا جديدة تعتمد مؤشرات عديدة مثل نسبة تغطية البنية التحتية ونسبة استخدامها ونسبة

التدريس ومستوى الدخل وغيرها، حيث تعتبر هذه المؤشرات بدقتها العالمية وبأسلوب علمي ودقيق يأخذ بعين الاعتبار كل المؤشرات المعتمدة، ويستخرج مؤشر قياسي يدعى الرقم القياسي للنفاذ الرقمي IAN²⁴، يمكن من قياس نفاذ الأفراد والأسر والمجتمعات إلى تكنولوجيات الاتصال الحديثة.

- بالإضافة إلى الآثار سالفة الذكر، توجد عدة آثار اجتماعية أخرى لها وزن من جراء انتشار هذه التكنولوجيات الحديثة، فعلماء الاجتماع يخشون من أن يؤدي انتشارها إلى نقصان الاتصال الشخصي المباشر بين الناس، سواء عند ممارستهم لأعمالهم أو في حياتهم الشخصية والخاصة. كذلك قد تؤدي إلى قلة استعمال وسائل الاتصال التقليدية كالصحف المكتوبة والراديو، مما قد يسبب عزلة نفسية واجتماعية لدى الأفراد، حيث أن هناك العديد من المهام والأعمال التي اعتاد الأفراد على ممارستها باللقاء المباشر مع بعضهم البعض، أما الآن، فأصبح يتم إنجازها بمجرد استخدام بعض الأزرار والمفاتيح داخل المنزل، مما يزيد هذه العزلة عمقا واتساعا. و كنتيجة للتعامل الشخصي مع وسائل التكنولوجيا الحديثة، يمكن أن تقل الخبرات المشتركة بين الزوج والزوجة، وبين الآباء والأبناء مما يؤدي إلى صعوبة التفاهم والاشتراك في القيم ويزيد من حدة "أزمات المراهقة Adolescent Crisis" عند الشباب.

وسائل التكنولوجيا الحديثة التي نجحت في غزو منازلنا بأشكال لا تعد من المعلومات والترفيه، تستطيع أيضا أن تنتهك خصوصياتنا وتتصرف على ما يحدث داخل منازلنا²⁵.

الخاتمة

إن المستقبل يحمل معه مزيدا من الخيارات والبدائل، ولا بد أن ندرك أننا نعيش في خضم تحول أساسي وجوهري في كيفية حصول الأفراد على المعلومات وفيما يختارون الحصول عليه، ويجب أن لا يعتقد البعض أننا بعيدون عن ذلك لأننا الكل، أي من كان و أينما كان، يدور في فلك القرية العالمية، كما أن التغيرات الجديدة التي تعيشها الجزائر على مستويات عدة، وتشجيعها للخواص للاستثمار في مجال تقديم خدمات النفاذ إلى الإنترنت والهاتف النقال يعد بمستقبل أحسن وبأسعار منافسة.

لكن رغم هذا، يجب التمهّل و التّيقّظ في هذا المجال، لأن تقنيات مثل هذه لا تحوي إيجابيات فقط، بل تخبئ في طياتها عادات و تقاليد لا ثمة لها صلة و ثقافتنا العربية-الإسلامية، فعل كل مسئول من الأب أو الأم على المعلم و الإطار العالي و الحاكم أن يعي عواقب استعمال غير مناسب لتكنولوجيات الإعلام و الاتصال، و أن يدرك أن ما يصلح في هولندا أو في اليابان قد لا يكون له مكان في الجزائر....

الهوامش:

1. يعتبر العديد من علماء الإقتصاد أن تنامي التجارة الدولية راجع بقدر كبير إلى انخفاض تكلفة الاتصالات في القرن العشرين.
2. شريف درويش اللبان، "تكنولوجيا الاتصال"، ص 102.
3. نفس المرجع السابق ص 103، 102.
4. البروتوكول هو مجموعة من القواعد والتعليمات التي يجب أن يتبعها حاسبان عند اتصالهما.
5. تعريف القائمون على "سلسلة السنايل" المتخصصة في الإنترنت.
6. إصلاح وتطوير قطاع الاتصالات في الجزائر، وثيقة عمل مقترحة من إدارة البريد و المواصلات إلى الاجتماع العربي التحضيري الثاني للقمّة العالمية لمجتمع المعلومات.
7. ADSL = Asymmetrical Digital Subscriber Line.
8. طوالبية أحمد، "تكنولوجيات الاتصال والمعلوماتية في الجزائر" على الموقع www.chihab.net
9. Encyclopedie Encarta 2006.
10. <http://www.tlfq.ulaval.ca/axl/afrique/algerie.htm>
11. حسن عماد مكاوي ، "تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات"، ص 251.
12. نفس المرجع السابق ص 252.
13. نفس المرجع السابق ص 253.
14. نفس المرجع السابق ص 253.
15. شريف درويش اللبان، "تكنولوجيا الاتصال"، ص 193.
16. Cyber-Connection Acces For Everybody
17. يسري شاهين، "مقاهي الإنترنت تخطف الشباب" على الموقع www.islamweb.net

-
18. أو ال IP كما يسميه خبراء الإعلام الآلي. حيث أن كل من يرتبط على شبكة الإنترنت "يُمنح" رقماً تعريفياً و يحوي مكان الارتباط و المزود بالخدمة، و يُمكن بالتالي من معرفة رقم الهاتف المستعمل للارتباط و بالتالي تحديد هوية المرتبط.
 - 19 نبيل علي، "تحديات عصر المعلومات"، ص 81، 82.
 20. شريف درويش اللبان، "تكنولوجيا الاتصال"، ص 195، 196.
 21. نفس المرجع السابق ص 42، 41.
 - 22 نفس المرجع السابق ص 42.
 23. www.osiris.sn/article154.html
 24. IAC=Indice d'Accès Numérique.
 - 25 حسن عماد مكاوي ، "تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات"، ص 201.

قائمة المراجع

1. أحمد سعادة و عادل فايز السرطاوي ، "استخدام الحاسوب والإنترنت في مجال التربية والتعليم". دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الإصدار الأول- 2003.
2. حسن عماد مكايي ، " تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات". الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية-1997.
3. خلادي عبد القادر و كويسي سليمة ، "تكنولوجيات المعلومات و الاتصال في الجزائر: وضعية و آفاق "، اجتماع الخبراء الإقليمي حول معوقات النفاذ الشامل لتكنولوجيا المعلومات و الاتصال في الدول العربية.
4. شريف درويش اللبان ، "تكنولوجيات الاتصال الحديثة المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية". الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى-2000.
5. مي العبد الله سنو، "الاتصال في عصر العولمة الدور والتحديات الجديدة". دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية - 2001.

6. منى محمد إبراهيم ، "تكنولوجيا الاتصال المعاصرة الشخصية والإدارية ونظم المعلومات " . منشورات البطل ، الطبعة الأولى - 2003.
7. نبيل علي ، "تحديات عصر المعلومات " . دار العين للنشر ، الطبعة الأولى - القاهرة - 2003.
8. يسري شاهين ، "مقاهي الإنترنت تخطف الشباب " على الموقع www.islamweb.net
9. طوالبية أحمد ، "تكنولوجيات الاتصال والمعلوماتية في الجزائر " على الموقع www.chihab.net
10. خطاب السيد عمار تو، وزير البريد و تكنولوجيات الإعلام و الاتصال اجتماع الوزراء الأورو متوسطيين حول تكنولوجيات الإعلام و الاتصال ، دندالك ، إيرلندا، يومي 10 و 11 ابريل 2005.